



في ذكرى رحيل الفريق أول محمد فوزي ، عملاق مصر الصامت (4 - 4)

بقلم : رائف محمد الويشي

1 مارس 2012

ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة الملبسات التي أدت إلى قيام عبد الحكيم عامر وجماعته المسيطرين على الجيش بتجريد جمال عبد الناصر من تحمل مسؤولياته في الملف الأمني بشقيهِ (الشرطي والعسكري) وأنهم فرضوا عليه الملف المدني فقط ، وذكرنا أن وجودهم على قيادة الجيش قد أدى إلى نكسة 1967 .. كما ذكرنا محاصرة الشعب المصري لمنزل عبد الناصر في يومى 10 /9 يونيه 67 ومطالبته بالعودة عن التنحي ، وقد أعطى حجم هذا التفويض عبد الناصر الحرية في اليوم التالي في تعيين الفريق أول محمد فوزي كقائد جديد للقوات المسلحة بدلا من عبد الحكيم عامر ..

وذكرنا في الحلقة الثانية العمليات الحربية التي قام بها جيش مصر تحت قيادة الفريق أول محمد فوزي ، فلا يمكن تقييم العمل الذي قام به هذا العملاق الصامت في تأسيس جيش مصر الحديث دون ذكر ما كان يجرى على الأرض من عمليات تعكس عمل القيادات العسكرية .. في الحلقة الثالثة واصلنا الحديث عن العمليات القتالية للقوات المسلحة ، وقد انتهت الحلقة بموت عبد الناصر وصاحب ذلك – كما ذكرنا – اتهامات ما زالت يعلو صوتها حتى اليوم بقتله على يد أنور السادات ..

في الحلقة الرابعة والأخيرة اليوم سنذكر الفترة التي قضاها الفريق أول محمد فوزي كقائد عام للقوات المسلحة المصرية ووزير للحربية تحت رئاسة أنور السادات الجديد لمصر ..

كان من المفروض – طبقا لما ذكره الفريق أول محمد فوزي – أن يتم في ربيع 1971 تنفيذ خطة تحرير سيناء ، هكذا كان يعنى تصديق الرئيس عبد الناصر على الخطة جرائت 1 في قطار العودة من مطروح إلى القاهرة في وجود الفريق أول محمد فوزي والسيد حسين الشافعي والسيد سامي شرف ، وقد اطلع الرئيس أيضا في ذات الجلسة على الخطة جرائت 2 (التي تعنى الوصول إلى المضائق) وكذلك الخطة 2000 (والتي تعنى ضرورة وجود الاحتياطي الإستراتيجي في الشرق لصد أي محاولة إسرائيلية لعبور القناة غربا) ..

فهل كانت القيادة العسكرية المصرية جاهزة على بدأ التحرير في ربيع 1971 ؟

المراقبون العسكريون يقولون أن القيادة العامة المصرية قد تمكنت من تنفيذ المهمة المزدوجة التي كلف بها الرئيس جمال عبد الناصر في سادس يوم للنكسة القائد العام الجديد الفريق أول محمد فوزي والتي تتكون من شقين : الأول كان الصمود العسكري أمام عدو قوى تدريبا وتسليحا ، الثاني إعادة بناء القوات المسلحة المصرية التي انهارت على الأرض وفقدت 85 % من معداتها ..

لقد تمكن الفريق أول محمد فوزي من تنفيذ تلك المهمة ذات الشقين المتعارضين في 7 أغسطس 1970 ، والذي يوافق اليوم السابق لوقف إطلاق النار طبقا لمبادرة وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكي حينئذ .. لا بد أن التاريخ العسكري سيتوقف أمام هذا الرجل الذي بني الجيش المصري المنهار في مدة كلفه بها قائده الأعلى وربطها بسقف زمني في يوم الأحد 11 يونيه 1967 ، وهى ثلاث سنوات أو ثلاث سنوات ونصف ..

لقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى منهارة ، كحال الجيش المصري في حرب يونيو 1967 ، واحتاجت لتبني جيشها مدة عشرين عاما كي تعود إلى مسرح العمليات من جديد في عام 1939 ، مع ملاحظة هامة وهي أنها كانت تبني هذا الجيش في فترة صمت تام للدفاع ، فلم يكن لديها أى جبهة ملتهبة ..

عماق مصر الصامت صنع معجزة بالمقياس العسكرية ، ثلاث سنوات وشهرين تحت القصف اليومي بالصورة المذكورة في الحلقتين الثانية والثالثة ، وهاهو يعود ، ليس فقط كما كان قبل تلك الحرب ، لكن بصورة أقوى عما كان عليه جيش مصر قبل 5 يونيو 1967 ، لقد كان لجيش مصر يوم أن غادر عبد الناصر إلى جوار ربه قوة ضاربة ، وهي نفسها التي دخل بها السادات الحرب ، وكانت مكونة مما يلي :

- 5 فرق مشاة
- 3 فرق مشاة ميكانيكي
- 2 فرقة مدرعة
- 3 لواء مدرع مستقل
- 140 كتيبة دفاع جوى
- 3 كتائب استطلاع
- مجموعات من القوات الخاصة (مظلات وصاعقة) تحتوى على عدة كتائب ..
- 400 طائرة سوفيتية خفيفة من المقاتلات الاعتراضية ميج 21 ، والمقاتلات القاذفة ميج 17 وسوخوى 7 + 25 طائرة قاذفة سوفيتية من طرازي TU-16 واليوشن + 120 طائرة هليوكبتر سوفيتية من طرازات مى 4 ومى 6 ..

كيف تمكن الفريق أول محمد فوزى من تحقيق تلك المعجزة العسكرية ؟

اعتمد الفريق أول محمد فوزى والفريق العامل معه بقيادة الفريق عبد المنعم رياض الأركان على وضع أسس جديدة تستند على الكفاءة – والكفاءة فقط – في بناء جيش مصر الحديث ، وكان ذلك ممثلا في الخطوات التالية :

1- إعادة تنظيم وتسليح القوات المسلحة المصرية : ذكرنا من خلاله ما قاله الفريق أول محمد فوزى أن الرئيس عبد الناصر قد قال للسوفييت أنهم شركاء في الهزيمة ، وعليه فقد طلب منهم ليس فقط إمداده بكل أنواع الأسلحة التي كانت لدى مصر ، بل تزويد مصر بأحدث منها ، وقد قال لبي السوفييت هذا الطلب ومدوا مصر بأسلحة لم تكن موجودة لدى حلفائهم الشيوعيين في حلف وارسو ، ومنها (الكلام هنا للفريق فوزى) المحرك الجديد 511 للميج 21 ، وقد سبب ذلك أزمة بين أعضاء الحلف المذكور وبين السوفييت عندما اكتشف وزير الخارجية التشيكي أثناء زيارته لأحد مصانع صيانة الطائرات بالقاهرة وقابل هناك أحد الخبراء الروس وسأله عن نوع المحرك ، ولما عاد أخبر حكومته بما رأى ..

2- إشراك الجامعيين في العمل العسكري : أحدث هذا القرار الذي اتخذه الفريق أول محمد فوزى نقلة نوعية في كفاءة واستيعاب المقاتل للسلاح ، وكان سلاح الدفاع الجوى الذي أنشأ في عام 1968 في حاجة شديدة للجامعيين ، وهو السلاح الذي تلقى أكبر الضربات من طيران العدو ..

3- تكوين وحدات مقاتلة جديدة : كان خط الإمداد التسليحي القادم من السوفييت لم ينقطع ، وكانت أعداد الجامعيين تزيد يوما بعد يوم وقد أدى هذان العنصران الجديان إلى ضرورة إنشاء وحدات مقاتلة جديدة زادت من قوة الجيش المصري الحديث ..

4- رفع مستوى الأداء القتالي للقوات : كان مسرح العمليات لمدة ثلاث سنوات هو أفضل مكان لتدريب المقاتل المصري ، وقد تطلب ذلك الانضباط والتدريب الإحترافى ..

5- وضع الخطط الدقيقة : ذكرنا في الحلقات السابقة وفى صدر هذه الحلقة أنواع الخطط الثلاث التي قدمها الفريق أول محمد فوزى

إلى الرئيس عبد الناصر ، وتحتوى كل خطة منهم على كافة التفاصيل ، فمثلا الخطة الأولى (جرانيت 1) كان تتكون بخرائطها من ألف صفحة ..

هل حققت القيادة المصرية غرضها من حرب الاستنزاف ضد إسرائيل ؟

كانت نقطة ضعف إسرائيل هي العامل البشرى المحدود ، وقد استغلت القيادة المصرية ذلك أفضل استغلال بشن غارات شبه يومية (قوات خاصة – قصف مدفعي – قصف جوى) على قوات العدو طوال سنوات الاستنزاف الثلاث ..

من الطبيعي أن الأثر المادى لتلك الغارات قد أنزل خسائر فادحة في صفوف العدو طوال تلك السنوات الثلاث ، نورد هنا تعليقات قادة العدو على وقف إطلاق النار الذى دخل حيز التنفيذ في 8 أغسطس 1970 والذي أصرت قيادة العدو على أن يكون وقفا دائما ، وأصرت القيادة المصرية على أن يكون وقفا مؤقتا لمدة تسعين يوما لشعورها بامتلاكها المبادرة العسكرية ، وكان لمصر ما أرادت :

- قالت رئيسة وزراء إسرائيل في تعليق لها على دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ ما يلي : " هذا يوم يبدو لي كما لو كان أفق السلام ، وسوف لن تسمع أذني مستقبلاً أسماء ضحايانا في الحرب وهي تذاغ على الراديو يوماً ما " ..

- قال الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان حينها تعليقا على حرب الاستنزاف ما يلي : " ليست لدينا القوة في الوقت الحالي لإيقاف حرب الاستنزاف " ..

- قال أبا إبان وزير الخارجية تعليقا على ذلك ما يلي : " إن قصف المدفعية المصرية مع الغارات الجوية عبر قناة السويس كان يسبب خسائر قاسية في القتلى بمثل ما كان يتسبب لنا من خسائر في أي حرب ، إن وقف إطلاق النار تم استقباله في إسرائيل بشعور الرضا حيث يتساوى كما لو كنا قد توصلنا إلى تسوية سلمية ... إن نشرات الأخبار الحزينة تخبرنا بأسماء الشبان القتلى في المعركة وأن خسائرنا في القوات والمعدات الثمينة قد جعلت حرب الاستنزاف غالية التكاليف لنا " ..

- قال الجنرال عزرا وايزمان – الأب الروحي ل سلاح الطيران الإسرائيلي - في كتابه " فوق أجنحة النسور " ما يلي : سنظل نذكر أن حرب الاستنزاف هي الحرب الأولى التي لم تنتصر فيها إسرائيل !

- قال الجنرال شارون (تولى قيادة المنطقة العسكرية في نهاية عام 1969) عن حرب الاستنزاف في مذكراته : " عندما تعرضت مواقعنا لنيران المدفعية الثقيلة ، تكبدت خسائر جسيمة ... خلال السنوات الثلاث لحرب الاستنزاف انشغل جنودنا بإصلاح الإضرار وتحصين المواقع التي دمرتها المدفعية ، وكلفتنا الكمائن والغرات ضد قواتنا أرواحا غالية جدا ، وكان الحاخام الأكبر يزورنا باستمرار ويصلى مع الجنود ويقضى الليل معهم " ..

- قال العميد والمعلق العسكري ماتى بيليه تعليقا على وقف إطلاق النار ما يلي : " إن فشل الجيش الإسرائيلي من الناحية العسكرية في حرب الاستنزاف يمثل أول معركة يهزم فيها في ساحة القتال منذ قيام إسرائيل لدرجة أننا في إسرائيل قبضنا على أول قشة ألقيت لنا أي وقف إطلاق النار المؤقت " ..

كان من المفروض أن تنتهي مدة وقف إطلاق النار في 5 نوفمبر 1970 ، وقبل انتهاء تلك المدة غادر عبد الناصر إلى جوار ربه ، وقد وافقت القيادة الجديدة في مصر على مد الفترة لمدة 90 يوم آخر تنتهي في 5 فبراير 1971 ، ثم وافقت في 4 فبراير على مد المدة إلى شهر آخر ينتهي في 7 مارس 1971 ..

قدم وزير الحربية الفريق أول محمد فوزي الخطتين الثانية (أي جرانيت 2) والثالثة (أي الخطة 2000) إلى أنور السادات في قصر عابدين في 10 مارس 1971 للتصديق عليهما ، إلا أن السادات راوغ متحججا بالانتظار حتى عودة سامي شرف من موسكو لرؤية نتائج الطلبات من شحنات الأسلحة ، ولم تكن حيلة السادات إلا للتهرب من القتال ..

يقول السيد سامي شرف في مذكراته عن نتائج رحلته إلى موسكو ما يلي : " أبلغت الرئيس السادات كتابة وشفويا بنتائج مهمتي في الاتحاد السوفيتي ، والأوراق مودعة في أرشيف الرئاسة ، وكانت النتائج مبهرة حيث وافقت القيادة السوفيتية علي إمداد مصر بطائرات ميغ بعيدة المدى وطائرات استطلاع بعيدة المدى وصواريخ مضادة للطائرات متقدمة وكانت تنقص القوات المسلحة لإكمال خط الدفاع كله علي القناة مع العمق المصري .. "

انكشاف العملية " دكتور عصفور " المخابراتية أطاحت بالفريق أول محمد فوزي وأنقذت السادات من الإعدام

يقول هنري كيسنجر في مذكراته أن الإسرائيليين - في منتصف أغسطس 1970 وعندما اكتشفوا اكتمال حائط الصواريخ المصري - حملوا الوسيط الأمريكي مسئولية إزالته لأنه - في نظر اليهود - كان يعد خرقا لشروط وقف إطلاق النار ، ويضيف أن رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير طلبت الحضور إلى واشنطن في أجل إقناع الأمريكيين بإزالة هذا الحائط من طرف أمريكا ولو عسكريا لأنه لم يكن بمقدور الطيران الإسرائيلي فعل ذلك ..

يوصل كيسنجر في مذكرات ويلقى بقبلة تشرح ما جرى في 28 سبتمبر 1970 ، فيقول أنه قد تحدث في تلك الأيام مع السفير الإسرائيلي في واشنطن - إسحاق رابين - وأخبره بأن علي إسرائيل أن تنتظر لمدة شهر أو شهرين لأن هناك أحداثا هامة ستجرى في المنطقة في تلك الفترة المذكورة .. في 28 سبتمبر 1970 يرحل جمال عبد الناصر إلى جوار ربه (!!) ..

أخبرنا الأستاذ محمد حسنين هيكل في برنامجه الأسبوعي على قناة الجزيرة وفي حلقة 10 ديسمبر 2009 أن أقوى عمليات المخابرات المصرية كانت تسمى " د. عصفور " ، وكانت عبارة عن زرع أربع سماعات في السفارة الأمريكية في القاهرة منذ أكتوبر 1967 وحتى أبريل 1971 ..

كما أخبرنا هيكل في الحلقة التالية والتي كانت بتاريخ 17 ديسمبر 2009 أن المخابرات المصرية لم تخبر السادات بتلك العملية بعد توليه الرئاسة لوجود أدلة لديها على عمالته للمخابرات المركزية الأمريكية ، وأنه - أي الأستاذ هيكل - كلن ضمن إثني عشر فردا يعلمون فقط بتلك العملية ، وأنه هو الذي أخبره بذلك أثناء زيارة السادات لمزرعته في برفاش .. النتيجة - على لسان الأستاذ هيكل - أن السماعات الأربعة والتي كانت تمد مصر بمعلومات تمثل قيمة إستراتيجية لا حدود لها قد أبطل مفعولها في السفارة الأمريكية بالقاهرة بعد أيام من معرفة السادات بها ..

إذن نستطيع القول بأن السادات ومعه الأمريكيون - بعد أن كشف لهم عملية د. عصفور في أبريل 1971- قد أدركوا أن الفريق أول محمد فوزي ورفاقه في الجيش سيسابقون الزمن بغرض القبض عليه .. أسرع السادات في 15 مايو 1971 بالقبض عليهم ، هو قالها أكثر من مرة وفي خطبه العامة " أتعديت بيهم قبل ما يتعشوا بي " ، ولم يتنبه الشعب لهذه الجملة بمحاولة تحليلها ..

كان القبض على السادات سيكشف كنزا من المعلومات لا حصر لها ، كان سيكشف عن أنظمة عربية مدفونة في الرمال تساعد إسرائيل على استمرار الحياة ، كان سيكشف عن سر الغموض في رحيل عبد الناصر وعن أسباب رفض السادات لتشريح الجثة (؟؟ !!) ، كان سيهدم الخطة الكبرى التي تطبخها أمريكا على نار هادئة والتي تقضى بإخراج مصر من المواجهة مع إسرائيل من خلال الموائيق وليس في ميدان القتال مع اعتراف متبادل بينهما ، وهو ما يتطلب وجود قائد يرضى بالمستحيل ويعنى عمليا إنهاء قضية الأراضي والمقدسات ..

كما صرح به الصحفي الأكثر شهرة في العالم Bob Woodward والذي تعتبر معلوماته مصدر ثقة في كثير من الدوائر السياسية العالمية في مقال بصحيفة واشنطن بوست بتاريخ 25 نوفمبر 1977 بأن السادات كان يعمل لصالح المخابرات المركزية الأمريكية من الستينات ، وأن من قام بتجنيدده هي الشخصية الخليجية المعروفة في عالم المخابرات ك . أ . .. وقد أعاد الصحفي المذكور التأكيد على ذلك في كتابه The Secret Wars Of The CIA في صفحة 352..

وصرح بوب وودرد أكثر من مرة وطوال العقود الماضية أن الرئيس جيمي كارتر قد اتصل به عندما تأكد من وصوله إلى قائمة عملاء أمريكا من القادة العرب من خلال مصادره في الـ C.I.A. وناشده بالأ يشر ذلك لما قد تسببه من ضرر للأمن القومي

الأمريكي ، لكن بوب وودرد – كما صرح – رفض مناقشة كارتر وقرر النشر معتمدا على حماية الدستور الأمريكي له ..

وقد صرح الفريق أول محمد فوزي أكثر من مرة في التسعينات – وذكره أيضا في كتابه " حرب الثلاث سنوات " – أن المخابرات المصرية قد رصت اتصالات كان طرفاها هو بيت السادات في الجيزة وإسرائيل ، وذلك عندما كان وزيرا للحربية ..

كان أول عمل قام به السادات بعد القبض على الفريق أول محمد فوزي هو الإسراع في صباح 15 مايو إلى مكتب مدير المخابرات العامة أحمد كامل والاستيلاء على كل الوثائق الموجودة به والتخلص منها ، كانت أهم تلك الوثائق هي وثائق العملية المخبرانية د. عصفور ، والتي تعد أشهر عملية في تاريخ المخابرات المصرية ، والتي تم إجهاضها بواسطة أنور السادات ..

كان كل ما فعله الفريق أول محمد فوزي هو أنه قدم استقالته وانسحب هادنا إلى بيته حتى لا ينقسم الجيش ، أثر عملاق مصر الصامت أن يخرج بهدوء من المشهد - رغم ما لديه من معلومات – حفاظا على وحدة جيش مصر الذي بناه من الصفر ، لكن السادات كان يريد الخلاص منه ، فقدمه لمحاكمة ظالمة حكمت عليه بالإعدام ثم خفف الحكم إلى المؤبد ..

لقد ترك عملاق مصر الصامت قواته التي أسسها من الصفر وهي في أوج قمتها ، وكانت هي نفس القوات التي دخل بها السادات الحرب بعد سنتين ، تلك القوات التي قيدها السادات وحد من نصرها ، وتدخل في غرفة العمليات في عملها وهو غير المتخصص فقلب النصر إلى حصار ليبرر التفاوض مع العدو ثم يقوم بتطوير التفاوض إلى الاعتراف به وينزع سيناء من السلاح ، لقد كان إخراج مصر من دائرة الصراع هو الهدف الذي تسعى إليه أمريكا ونفذه لها أنور السادات ..

لمزيد من المعلومات ننوه إلى دراسة من خمس حلقات بعنوان " حرب أكتوبر ، وضرورة لجان التحقيق المستقلة " لكاتب الدراسة على مدونته .. وكذلك إلى دراسة من أربع حلقات بعنوان " رحيل سعد الشاذلي ، ومسؤولية الثورة في فتح الملفات المحرمة " للكاتب الدراسة على مدونته ..

ونختم تلك الدراسة بفقرة من آخر خطاب ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر ، كان ذلك في احتفال 23 يوليو 1970 ، وهي فقرة تعكس المجهود الذي بذله الفريق أول محمد فوزي ورجال القوات المسلحة في جيش مصر الذي أعاد بناءه من نقطة البداية :

" إن الجيش المصري قام بمجهود خارق لإعادة بناء نفسه ، بعد ظروف من أسوأ الظروف التي واجهها نضالنا ، وتمكن هذا الجيش الذي ظنه العدو أن أمره قد انتهى إلى عشرات السنين من أن يعود إلى القتال مرة أخرى ، في سرعة سوف يعدها التاريخ المنصف لهذه الفترة ضربا من المعجزات ... إن الجهد المتفاني الذي بذله منات الألوف من رجال وشباب مصر ممن كان لهم في هذه الفترة العصبية شرف الخدمة العسكرية حقق مستوى قتالي لم يكن على بال صديق أو بال عدو قبل ثلاث سنوات " ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري – أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com